استهداف ١٥٠ مدرسة في ثلاث محافظات:

تعاون يمني أمريكي لنشر حب القراءة

.. لم أعثر على سبب مقنع لأعيد الكتاب الذي اشتريته من المدرسة غير أني أريد أن أعيده إلى المعلم الذي باعنيه في اليوم الأول وفي الصباح كنت أقف وجها لوجه أمامه ويدي تحمل الكتاب وتهتز متجهة نحوه حين سألني لماذا! لم يعجبني؟ قفزت إلى طفولتي إجابة لا أدري من أين (ليس فيه صور).

بعد مرور سنوات على هذه الحادثة مازلت أتذكر أن الكتاب الذي قدم إلى مدرستنا ضمن مجموعة كتب ثقافية بأسعار تشجيعية للطلاب كان يحمل صورة واحدة وهي عبارة عن رسمة وما تبقى عبارة عن صفحات مرصوفة بالكلمات التي لم افهمها لأنها لا تناسب سنوات عمري ولا تخاطب ميولي الذي يتكون، ورغم مرور مدة طويلة إلا أن المدارس ومناهجها لم تغادر أسلوب التعالي في تقديم المعلومات إلى الصغار وتريد منهم أن يستوعبوا الكتاب المدرسي كما هو خاصة بعد أن أصبح تساؤلات تبحث عن أجوبة وعن معلم لا يفيده دليل المعلم في مهمة العثور كما تقول نبيلة عبده الحرازي مربية الصف الثاني في مدرسة سكينة، مضيفة بوجود مشكلة حقيقية بين الكتاب والطالب الذي يبحث عن ما يرضي طفولته والصورة هي أكثر ما يرضيه ويجذبه ولذلك نراه يهرب من النصوص الكبيرة أو يحفظها كما هي دون أن يعرف معناها.

استطلاع/صقر الصنيدي

حظيت هذه المعلمة مع العديد من زميلاتها على دورة تدريبية متعلقة بـ(أطفالنا يقرأون) وهو أحد مشاريع المبادرة الشرق أوسطية ميبي) mepi(والذي يسعى إلى تنمية مهارات القراءة لدى الأطفال وقد انطلق منذ ما يزيد عن عامين وينفذ حالياً في ٩٠ مدرسة تابعة لمحافظة تعز و٦٠ مدرسة تابعة للحديدة و٩ مدارس في أمانة العاصمة، وكما يورد ممثل مبادرة الشرق أوسطية فإن الهدف الرئيسي هو خلق طلاب يحبون الكتاب ويستوعبون ما قرأوه وعلاقتهم تبدأ من الطفولة ولا تتوقف ويأتي ضمن مشروع كبير معروف بمكتبتي العربية أخذت دول عديدة بينها لبنان والاردن وفلسطين.

مدير مكتب التربية والتعليم في أمانة العاصمة – محمد الفضلي قال: إنها خطوة جيدة نحو بناء علاقة طيبة بين الطالب والكتاب وأنه فعلا هناك مشكلة كبيرة فكثير من الطلاب لا يحبون القراءة ولا يجدون ما يجذبهم إليها ووجود مكتبة تابعة لهم في المدرسة سيساعدهم في حب الكتاب ونحن مستعدون لأي تعاون سواء مع مبادرة الشرق أوسطية أو مع وزارة الثقافة التي بدأت بمشروع تحويل القصص الشعبية إلى كتب صغيرة قصصية قريبة من الصغار.

مشكلة مكتبة المدرسة

معظم المدارس التي تمتلك مكتبة لا تجد الكتاب المناسب للطلاب فما هو موجود كتب عامة تم الحصول عليها من خلال الإهداءات من أولياء الأمور وكما تقول أمينة مكتبة مدرسة سالم الصباح في الأمانة أحلام شيبان فإن الكتب تأتي من أولياء أمور وهي مخصصة للكبار وغالبا قديمة وكتب أخرى يتم طلبها من دار الكتاب ولا ترضي الأطفال ولا ميولاتهم وهو ما يجعلهم بعيدين عنها، باستثناء الكتب القصصية التي تنال إعجابهم.

عبدالله سفيان ممثل دار اسكول استيك للنشر وهي أهم دار متخصصة في كتب الأطفال يقول إنه تم تزويد تسع مدارس في الأمانة و٩٠ مدرسة في تعز و٦٠ مدرسة في الحديدة بالكتب التي تصدرها الدار باللغة العربية وقد بدأت النتائج ملموسة ففي إحدى الزيارات الإشرافية التي تعقب استلام الكتب لتقييم الأثر اتضح أن التلاميذ في منطقة بلاد الروس البعيدة أصبح

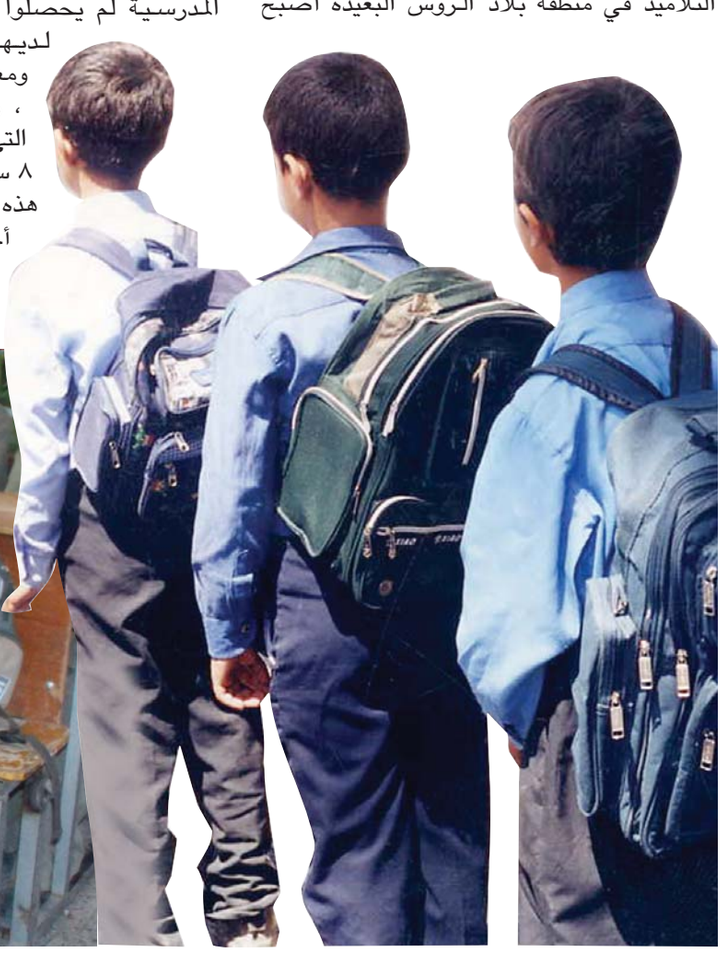

الأطفال يتحدثون عن مضمون القصص التي حصلوا عليها وساعدت في رفع مستوى فهمهم حتى للمنهج المدرسي وجعلتهم يحبون الكتاب وقد تفاجأنا فعلا بالطلاب وبالمدرسين وهم يستعرضون بحماس الفوائد التي رأوا تلاميذهم ينالونها.

تقول هدى الحبابي المتخرجة من قسم المكتبات جامعة صنعاء والمتخصصة في إدارة عمل المكتبات القديمة والحديثة وتصنيفها: إن أهم الأشياء المهملة في عالم أطفالنا والكتب هي عدم الاختيار الصحيح والمناسب للكتاب وتجاهل عمر الطفل ومدى استيعابه، وتضيف أن الاعتماد العشوائي للكتاب المقدم للطفل غير صحيح ويصبح عامل تنفير في العلاقة قد يصعب إصلاحها فيما بعد فالأطفال مختلفون في مستويات الفهم والقدرات ولكل واحد فيهم ميول وتوجه معين يجب أن يراعى عند تقديم الكتاب إليه وأن لا يتم اختياره عشوائياً خاصة في السنوات الأولى.

كما أن من بين مشاكل المكتبات المدرسية ضعف تأهيل القائمين عليها وعدم حصولهم على تدريب دوري يطلعهم على الجديد في عالم المكتبات الذي يعد تخصصاً مستقلاً عن العلوم الأخرى وقد كشفت الدورة التدريبية التي أقيمت منذ مدة قصيرة في بيت الثقافة أن جميع أبناء المكتبات المدرسية لم يحصلوا على أي تأهيل غير ما لديهم من خبرات مكتسبة ومعلومات من أيام الجامعة ، ووفقا لـ(أحلام شيبان) التي تعمل منذ ما يزيد عن ٨ سنوات فإنها تحصل على هذه الدورة للمرة الأولى وأنها أحست بوجود الكثير من الطرق والوسائل التي ستعينها في عملها وستساعد التلاميذ على حب القراءة العامة.

يقول عبدالله سفيان الذي يعمل مدربا في مجال القراءة للأطفال: إن إعطاء المعلمين وأمناء المكتبات المعلومات الحديثة ونقل المعارف إليهم يساهم في تبسيط عملهم ورفع أدائهم والاقتراب من تحديد ما يريده ويحتاجه الطفل فعلا – فمثلا نعطيهم العديد من اختبارات قياس مستوى فهم الطالب للكتاب الذي يقرأه أحدها أنه يختار عشوائيا صفحة في كتاب ويقرأ الصفحة وكلما وقعت أمامه كلمة لا يعرف معناها يطوي إحدى أصابع يده حتى إذا انتهى من الصفحة وقد طوى أربع أصابع وبقيت واحدة فهذا يعني أن الكتاب مناسب لقدراته والمدرس بدوره ينقل مثل هذه الاختبارات إلى الطفل ليجربها ذاتيا وتصبح إحدى مقاساته يناسبه كتاب ما لقدراته وهناك الاختبار التصنيفي الذي يحدد مدى ملائمة الكتاب للقدرة فالكتاب الذي يكون أقل من المستوى للطالب يكون مملا ويستطيع قراءته بسرعة أما الكتاب الأعلى من مستواه يشعره بالارتباك أثناء القراءة ويستغرق وقتا طويلا لقراءته ويحتاج للكثير من المساعدة أما الكتاب الملائم فيكون معروف معاني الكلمات ويتم الاستمتاع بقراءته.

ويشرح دليل المعلم الذي تتولى اسكول استيك توزيعه الكيفية التي بموجبها يختار الطفل الكتاب ويسرد الدليل عدة عوامل تلعب دوراً في قرار الصغير أهمها الغلاف ثم الجمل الأولى من القصة وشكل الكتاب ونوع الصور والموضوع والفن الأدبي وتوصية الأصدقاء بالكتب المعروضة والكتب التي سبق وناقشها المدرس أو قرأها جهرا.

ويضيف الدليل أن أول ما يقوم به الطفل عقب تلقيه الكتاب يفتحه ويتصفحه ثم ينظر إلى الصور ينظر في بعض الصفحات يقرأ بعض المقاطع ومع ذلك يحتاج الطفل إلى المساعدة في الاختيار.

■ ممثل المبادرة الشرق أوسطية: هدفنا إيجاد جيل من محبي الكتاب

■ سفيان: هناك عدة وسائل لجعل الأطفال يهتمون بكتابهم

المضمون الجيد

قبل عامين وقف أحد الأطفال المتواجدين في مركز الطفولة الآمنة وأخذ يسرد قصة حياة الدب القطبي بطريقة آسرة وكأنه يخرج فيلما وثائقيا عاش كل تفاصيلها – ولم يكن ذلك الطفل قد رأى دبا طيلة حياته إلا أنه قرأ أحد الكتب التي تقدمها المبادرة الشرق أوسطية (ميبي) وعاش تفاصيلها بعبارات قليلة وصور كبيرة وواضحة وذات ألوان قريبة إلى الطبيعة يومها استغرب ممثل دار النشر والجهات الأخرى المعنية من التفاصيل التي قدمها الطفل ولم يكونوا يعتقدون أن القصة ستتعمق في خيال الصغار الذين لهم بيئة مختلفة تماما.

ببساطة يعود الفضل إلى مضمون الكتاب الجيد إلى تقنية إيصال المعلومة إلى الطفل، تقول مربية الصف الأول في مدرسة سكينة رضا حسين حميد إن مشكلة الكتب الموجودة هي مضمونها وأكثرها من الكلمات التي لا تراعي صغر سن الطفل وتريد منه أن يكبر ليفهمها.

وترى رضا أن الأطفال يحفظون النص دون أن يعرفوا معناه وهذا لا يفيدهم لأنهم يواجهون كتابا يعتمد على الكلمة .. وتضيف: إن الكتب التي كانت مقررة في السابق أفضل من ما هو مقرر الآن وهو ما يجعل العلاقة سيئة بين الطلاب والمنهج الدراسي.

تكتفي الكتب التي انتجها مشروع اسكول استيك بكلمة أو كلمتين تحت الصورة الكبيرة وتوضع الكلمة أسفل الصورة ليس جزافا إنما لأجل تحفيز مخيلة الطفل ويبدأ الاستفسار والتفكير عن معنى الكلمة كما يقول عبدالله سفيان.

ثم إن وجود الكلمات القليلة لا يفقدها قدرتها على إيصال الرسائل الواضحة والمفهومة للصغار فمثلا يوزع كتاب يحمل عنوان (نحن جميعا مختلفون، نحن جميعا متفقون) على طلاب الابتدائية في الولايات المتحدة ويتحدث عن فكرة قبول الاختلاف لأننا بشر خلقنا بأشكال وألوان مختلفة أو برغبات متفقة فالجميع يحتاج إلى طعام مهما كان مختلفاً بأفكاره وهكذا يرسخ كتاب صغير فكرة كبيرة لا يستوعبها لدينا من هم في مرحلة الشيخوخة.

ولا يغفل مضمون هذه الكتب الحبكة وعنصر المفاجأة رغم أن الأحداث بسيطة فكتاب (ما الذي كانت تنتظره الحيونات) يفاجئك بعكس ما توقعته أثناء القراءة كما حدث معي فقد قفز إلى ذهني عند رؤية الصور المتعددة للحيوانات المفترسة خاصة والنباتية أنها في انتظار ما تأكله والحقيقة أنها كانت في انتظار هطول الأمطار ولم يكشف عن ذلك إلا في الكلمة الأخيرة.

ويهتم المضمون بالمشاركة مع الطفل ففي نفس الكتاب تبدأ العبارة الأولى (أنت من الماساي تقف على ساق واحدة مثل طائر اللقلاق تحت أشعة الشمس تشعر بالحرارة الشديدة ومعدتك تكركر وتقول جدتك: (إنها أشهر الجوع) هذه هي البداية تخاطب الطفل وتحترم وجوده كإنسان له أن يتخيل أن يكون من هذه المنطقة الافريقية وأنه يشعر بالحرارة ويرى الشمس ويجلس إلى جدته مستمعاً لما تقول، صور عديدة تحملها الكلمات البسيطة وتنقل معها خيال الصغير من قارة أمريكا أو آسيا إلى أفريقيا ببساطة تستمر القصة في وصف الحيوانات ونظرها إلى البعيد وممارستها للانتظار حتى يحل لغز هذا الانتظار.

كتاب آخر اسمه (هل أمك اللامة؟) وفكرته تدور حول حيوان صغير اسمه اللامة يتنقل بين الحيوانات في الغابة ويسأل كل حيوان عن مواصفات أمه ويبدأ الكتاب: سألت صديقي خفوش هل أمك اللامة؟ أجاب: لا ليست اللامة إنها تتعلق بالسقوف من قائمتيها وتعيش في الكهوف لا أعتقد أن اللامة تتصرف هكذا.

قلت (إذاً أنت محق في هذا اعتقد أن أمك تبدو شبيهة بالخفاش).

ثم تستمر اللامة الصغيرة بالسرد سألت صديقي أزوز: هل أمك اللامة؟ ويدور نفس الحوار الذي يقرب للطفل عوالم حيوانات عديدة وقليل من صفاتها بأسلوب متقن.

حين قدم سفيان هذه النماذج إلى معلمي الصفوف الأولى نالت إعجابهم وتحدثوا عن قناعتهم إنها ستعجب طلابهم بكل تأكيد لأنها أقرب إليهم من الكتب التي بين أيديهم.

ووفقا لـ(نبيلة الحرازي) مربية الصف الثاني فإن تلاميذها سيجدون فرصة للتعرف على شخصيات الكتب وسيحفظون ويستوعبون صفاتها لأنها مرسومة بدقة وتساندهم الصور الجميلة والألوان الجذابة للطفل.

وتتعدد المواضيع التي تعالجها الكتب سواء كانت كتب علمية أو أدبية ولا تختلف ذات المواضيع العلمية عن غيرها في تقديم المعلومة ببساطة وتشويق كما أن من بين الكتب بعض تراثنا الشعبي والذي قدم مكتوبا بعد أن توارثتها الأجيال شفهيا .. وقد حاول الكاتب منير طلال التغلب على معوقات عديدة ليقدم كتبا جميلة يتقبلها الأطفال وقد استطاع أن يخلق حوارات بين شخصيات الكتب ويستخدم موهبته الأدبية في تقديم معلومات تظل عالقة في خيال الطفل وإن كانت الألوان والصور والطباعة عائقا رئيسيا في جعل الكتب منافسة لمثيلاتها الأمريكية لكنها ذات مفهوم قريب من خيال الصغار وينقصها الاهتمام أكثر من قبل الجهات المعنية.